A CONTRAST BETWEEN THE MAKKAN AND MADINAN REVELATIONS WITH PARTICULAR REFERENCE TO PRECISENESS AND ELABORATION: A RHETORICAL CRITICAL STUDY

Umar Aliyu and Abdullahi Bello Umar
Arabic Department
Umaru Ali Shinkafi Polytechnic

الـموازنة بين الوحي المكي والـمدني من حيث الإيجاز والإطناب دراسة بلاغية نقدية

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الـمقالة:
إن هذه المقالة المتواضعة: عبارة عن إبراز الأغراض البلاغية في الإيجاز والإطناب وخاصة في السور والآيات القرآنية الكريمة وكذلك إبراز أنه يوجد في السور المكية أيات مطنبة، كما يوجد في السور المدنية آيات موجزة، هذا نفيًا للوهم لعلمي بأن جميع الآيات في السورة المكية الموجزة والتى في السور المدنية مطنبة.
وتتحاول كذلك أن تبرز الأغراض البلاغية في كثرة الإيجاز في الوحي المكي وكثرة الإطناب في الوحي المدني.

الـمقدمة
الحمد لله وكفي وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد:
فهذه المقالة بعنوان: "الموازنة بين الوحي المكي والمدني من حيث الإيجاز والإطناب دراسة بلاغية نقدية"، تشتمل على ما يلي:-

المفهوم المعجمي والاصطلاحي للموازنة

الموازنة في اللغة: الترجيح، وهي من وَزَنَ يَزِنُ وزنًا وزنة بمعنى رجَّح،[1] وفي المعجم الوسيط: وزن الشيء يزن وزنًا وزنة، أي رجّح الشيئ: قدره بواسطة الميزان ورفعه بيده ليعرف ثقله وخفته وقدره.[2]
أما الموازنة في الإصطلاح فهي ضرب من النقد يتميز بها الردئ من الجيد وتظهر بها وجوه القوة والضعف في أساليب البيان.[3]

الغرض الاساسي للموازنة

والغرض الأساسي من الموازنة يرجع إلى أمرين أساسيين: الأمر الأول معرفة السابق من اللاحق بحيث يتأثر اللاحق بالسابق في كثير من أعماله الأدبية.
والأمر الثاني: قضية التأثير والتأثر بحيث يتبين من خلالها السرقات الأدبية.
والأمر الثالث: هو معروفة التفاوة في قيم الإسكاحات الأدبية بتمكينها الدراسة الملائمة لها.

شروط الموازنة

وللموازنة شروط منها ما يلي:

1 - المعاصرة: أن يعاصر الشاعران في قرن واحد
2 - الثقافة: أن ينهلا من الثقافة العربية والإسلامية
3 - الموضوع: وأن يتفقا في غرض الإنتاج الأدبي
4 - المكان: وهو أن يعيشا في بلدة واحدة أو من قبيلة واحدة

معنى الإيجاز والإطناب

أ) معنى الإيجاز: هو تأدية المعنى بأقل من متعارف الأوساط مع وفائِها بالغرض[4] نحو قول الشاعر.

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فإذا لم تف بالغرض سميت إخلالا نحو قول الشاعر:

ل النوك ممـن عاش كَدًّا ** والعيش خير في ظلا

ومراده أن العيش الرغد في حال الحمق خير من العيش الشاق في حال العقل، لكن عبارته لاتفيد ذلك فيضرب به عرض الحائط.[5]

وينقسم الإيجاز إلى قسمين:-

1 - إيجاز حذف: ويكون بحذف شيء من العبارة لايخلُّ بالفهم مع قرينة تعين المحذوف، وذلك نحو قوله تعالى: "فاتبعووني يحببكم الله" وحذف "فالتبعوني".

2 - إيجاز قصر: ويكون بتضمين العبارات القصيرة معانى كثيرة من غير حذف كقوله تعالى: "ولكم في القصاص حياة "فإن معناه كثير، ولفظه يسير إذا المراد: أن الإنسان إذا علم انه متى قتل قتل، امتنع عن القتل، وفي ذلك حياته وحياة غيره لأن" القتل أنفى للقتل وبذلك تطول الأعمار وتكثر الذرية ويقبل كل واحد على ما يعود عليه بالنفع، ويتم النظام ويكثر العمران.[6]

وهذا القسم مطمح نظر البقاء، وبه تتفاوت أقدارهم، حتى إن بعضهم سئل عن البلاغة فقال: "هي إيجاز قصر" وقال أكثر بن صيف خطيب العرب "البلاغة الإيجاز".

ب) معنى الإطناب: وهو تأدية المقصود بأكثر من عبارة المتعارف لكن المقام خليقًا به بالبسط،[7] ومثاله قوله تعالى: "رب إني وهن العظم واشتعل الرأس شيبًا" أي كبرت.

فإن لم تكن في الزيادة فائدة يسمى "تطويلاً" إن كانت الزيادة غير متعينة مثال ذلك قول الشاعر:-

والفى قولها كذبًا ومينا. ** وقددت الأديم الراهشيه

فالمين والكذب بمعنى واحد، ولم يتعين الزائد منها، لأن العطف بالواو لا يفيد ترتيبًا، ولامعية.

وإن كانت الزيادة متعينة يسمى "حشواً" وذلك كقول زهير بن أبي سلمي.

ولكنّني عن علم ما في غدٍ عمي ** وأعلم على اليوم والأمس قبله

ودواعي الإطناب كثيرة: منها تثبيت المعنى، وتوضيح المراد، والتوكيد، ورفع الإبهام، وإثارة الحمية – وغير ذلك.

ونلاحظ مما سبق أن الإيجاز يكون بتأدية المعنى بعبارة ناقصة عنه مع وفائها بالغرض المقصود، وتارة يكون بتضمن العبارة القصيرة معانى كثيرة، وتارة أخرى يكون بحذف كلمة أوجملة أو أكثر مع قرينة تعين المحذوف. ومن دواعي الإيجاز تسهيل الحفظ وتقريب الفهم وضيق المقام، والإخفاء، وسآمة المحادثة.

والإطناب يكون بتأدية المعنى بعبارة زائدة عنه مع الفائدة ومن دواعيه تثبيت المعنى وتوضيح المراد، والتوكيد، ودفع الإيهام.

مفهوم الوحي المكي والمدني:

إن للعلماء في المكي والمدني اصطلاحات مختلفة أشهرها ما يلي:-

أن الوحي المكّي ما نزل قبل الهجرة، والمدني ما نزل بعدها سواء نزل بمكة أم بالمدينة عام الفتح أو عام حجة الوداع أو بسفر من الأسفار، أخرج عثمان بن سعيد الرازي بسنده إلى يحيى بن سلام قال: "ما نزل بمكة، وما نزل في طريق المدينة فهو مكي، وما نزل على النبي صلى الله عليه عليه وسلم في أسفاره بعد ما قدم المدينة فهو من المدني، وهذا أثر لطيف يؤخذ منه ما نزل من سفر الهجرة مكي اصطلاحًا.

ب) أن المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة، والمدني ما نزل بالمدينة" وعلى هذا تثبت وقد أخرج الطبراني في الكبير من طريق عامر عن أبي أمامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنزل القرآن في ثلاثة أمكنة: مكة والمدينة، والشام" وقال الوليد: يعني "بيت المقدس".

وقال الشيخ عماد الدين بن كثير: "بل تفسيرة بتوك أحسن، ويقول الإمام السيوطي: "ويدخل في مكة ضواحيها كالمنزل ببدر، وأُحْدٍ، وسلع.

ج) أن المكي ما وقع خطابًا لأهل مكة والمدني ما وقع خطابًا لأهل المدينة، وحمل على هذا القول ابن مسعود.[8]

نلاحظ أن هذا القول الأخير هو الذي ذهب اليه الجمهور الله أعلم.

الموازنة بين الوحي المكي والمدني من حيث الإيجاز والإطناب

والموازنة بينهما تكون كالأتى

- النماذج من الوحي المكي
- النماذج من الوحي المذي
- عقد الموازنة بين الوحي المكي والمدني من حيث الإيجاز والإطناب.
- ذكر أسباب الإيجاز والإطناب في ما يخص كل من المكي والمدني.

أولاً:النماذج من الوحي المكي

يقول رب العزة: "قالوا تالله تفتؤتذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين"[9] وفي الآية إيجاز حذف والمحذوف هنا حرف ((لا)) ويدلّ على ذلك سياق الكلام.

ويقول جل شأنه: وأجمعوا أمركم وشر كاؤكم"[10] وفي الآية إيجاز لقوع الفعل بين شيئين هو لأحدهما ويضمر للآخر فعله والمعنى "أجعلوا أمركم وادعو شر كؤكم".

ويقول الله تعالى: "وءاتينا ثمود الناقة مبصرة"[11] وفي الآية إيجاز حذف حذف كلمة واحدة – "الموصوف" وأقيم الصفة مقامها والمراد: آية مبصرة.

ويقول جل جلاله: "فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها"[12] وفي الآية إيجاز حذف، حذف الفعل من الجملتين، الأول منهما في أسلوب تحذير من الناقة أي إحذرو، والثاني في أسلوب إغراء أي إلزموا.

وقال تبارك وتعالى: "حتى توارت با لحجاب"[13] إيجاز حذف، حذف الفاعل أي الشمس ومنه قوله تعالى: "ماترك عليها من دبة"[14] إيجاز حذف، حذف الفاعل أي الروح.

ومنه قوله تعالى: "وجاهدوا في الله حق جهاده"[15] إيجاز جذف، الفاعل أي الروح.

ومنه قوله تعالى: "وجاهدوا في الله حق جهاده"[16] إيجاز حذف، حذف إسمًا مضافًا إليه أي بعشر ليالٍ.

وقوله تعالى: "إلا من تاب وآمن وعمل صالحًا"[17] إيجاز حذف حذف إسمًا موصوفًا أي عملا صالحًا.
وقوله تعالى: "ولو ترى إذ وقفوا على النار"[18] حذف جواب شرط أي لرأيت أمرا فظيعًا.
وقوله تعالى: "ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله"[19] حذف مسندًا أي خلقهن الله.
وقوله تعالى: "لايسأل عما يفعل وهم يسألون"[20]حذف متعلقًا أي عما يفعلون.
وقوله تعالى: "ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض"[21] حذف من الأية "لو" و "شرطها" أي ولو كان معه آلهة لذهب كل اله بما خلق.
وقوله تعالى: وما كنت تتلوا من كتاب ولا تخطه بيمينك اذًا لرتاب المبطلون"[22] وفي الآية خدف "لو" و "شرطها" أيضًا أي لو كنت تتلوا الكتاب وتخطه بيمينك اذًا لرتاب المبطلون.
وقوله تعالى: "لو أن قرآنًا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلّم به الموتي بل لله الأمر جميعًا"[23] حذف من الآتية جواب "لو" إختصارًا لعلم السامع به أي لكان هذا القرآن.
وقوله تعالى: "ولولا فضل الله عليكم ورحمه وإن الله رؤوف رحيم"[24] سورة النور أية:2 حذف الجواب إختصارًا للكلام وتكرمًا للمؤمنين والمخدوف لعذبكم.
وقوله تعالى: "فسقى لهما ثم تولى إلى ظل فقال رب إنّي لما أنزلت إلى من خير فقير فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا"[25] حذف في الآية الكريمة من القصة جملٌ كثيرة مفهومة من سرد القصة ليركز على مواطن العظة وليدع للسامع مجالاً لفكره وخياله والمخذوف "فذهبتا إلى أبيهما وقصتا عليه ما كان من امر موسى، فأرسل إليه".
وقوله تعالى: "قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين، إذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون، قالت: "يأيها الملؤ إني ألقي إلى كتاب كريم"[26] وهذه الآية كسابقتها حذف فيها جملٌ كثرة وذلك للأسباب المذكورة في بيان آية السابقة والمحذوف "فأخذ الهدهد الكتاب وذهب به إلى بلقيس وألقاه إليها وقرأته وقالت" "يأيها الملؤ إني ألقي إلي كتاب كريم".
وقوله تعالى: "كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين"[27] حذف في الآية جملة، والمحذوف: "فاختلفوا".
وقوله تعالى: "فأرسلون يوسف أيها الصديق" [28] حذف من بين الآيتين جملٌ للدّلائل السابقة ذكرها والمحذوف" فأرسلوني إلي يوسف لأستعبره الرؤيا فأرسلوه فأتاه وقال له: يوسف أيها الصديق.

ومن هنا يكتفي الباحث بذكر النماذج من الآيات التي ورد الإيجاز فيها، وقد لاحظ أن أغلب هذه الآيات التي وردت في السور المكية، والمدنية منها لا تجاوز ثلاث أيات وهي قوله تعالى "ولو أن قرءانًا الآية" وقوله تعالى "ولولا فضل الله عليه الآية" وقوله تعالى "كان الناس أمة واحدة الآية فإنها مدنية، الأولى منها وردت في سورة الرعد والثانية في سورة النور، والثالثة في سورة البقرة.

نماج من الوحي المدني

منها قول رب العزة في محكم تنزيله: "إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيابه الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دآبة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون".[29]

وفي الآية إطناب بتكثير الجمل الدالة على قدرة الله وتفصيلها تفصيلا دقيقًا، ذلك لأن الخطاب بها موجه إلى جميع الناس في كل العصور العالم منهم والجاهل، والموافق منهم والمخالف وكان الإطناب والتفصيل أنسب هنا لمقام الإستدلال والإقناع.

ويقول جل شأنه: "حافظوا على الصلوات والصلواة الوسطي"[30] وفي الآية إطناب بذكر الخاص بعد العام فالصلاة الوسطي هي صلاة الصبح في أحد الأقوال، ذكر في عموم الصلواة ثم خصّت بالذكر إشعارًا بفضلها وتنويها بمكانتها ورفعة شأنها.

ويقول سبحانه وتعالى: "لاتحسبن الذين يفر حون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب"[31] وفي الآية إطناب بالتكرار، كرر فيها الفعل "لا تحسبنهم" لطول الفصل بين الأول ومتعلّقه وهو "بمفازة من العذاب وخشية أن يكون الذهن قد غفل عمّا ذكر أوّلاً

ويقول الله جل شأنه: "إن من أزواجكم وأولادكم عدولكم فاحذروهم وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور الرحيم"[32] وفي الآية إطناب بالتكرار وذلك لزيادة الترغيب في العفو.

ويقول الله تعالى: "وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين"[33] وفي الآية إطناب يسمى الإيضاح بعد الإبهام وقوله" أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين" تضمنه لفظ "الأمر" وذلك لزيادة تقرير المعنى في ذهن السامع بذكره مرتين مرةً على طريق الإجمال ومرةً على طريق الإيضاح والتفصيل.

عقد الموازنة بين الوحيين (المكي والمدني)

وبإعتبار ما سبق من النماذج من بين الوحي المكي والمدني يمكن أن يوازن بينهما ويقال: إن أغلب الاية التي وردت في النماذج الوحي المكي كثر فيها الإيجاز وجميعها من السور المكية ماعدا ثلاث آيات منها وهي قوله تعالى: "ولو أنَّ قرأنًا، الآية" وقوله " ولولا فضل الله عليكم، الآية " وقوله "كان الناس أمةً واحدة، الآية " فإنها مدنية، الأولى منها كانت في سورة الرعد، والثانية في سورة النور، حيث كانت الثالثة في سورة البقرة، وجميع السور الثلاثة مدنية، هذا من جانب النماذج الوحي المكي.

أما من جانب نماذج الوحي المدني فإن أغلب ما ورد فيه من الآيات كثر فيه الإطناب وكلها من السور المدنية ماعدا الاية الأخيرة وهي قوله تعالى: "وقضينا إليه ذلك الأمر" الآية فإنها مكية ومن السورة المكية أيضًا وهي سورة الحجر.

ويوجد من بين الوحيين أيضًا أن الوحي المكي يمتاز بقوة الأسلوب الذي منشأه الإيجاز، بين أن الوحي المدني يمتاز برقة الأسلوب الذي منشأه الإطناب، وكل من الإيجاز والإطناب أتى في الآيات السابقة على حسب ما يقتضيه الحال كما سيأتي تفصيل ذلك في النقطة الأخيرة التالية.

أسباب الإيجاز والإطناب فيما يخص المكي والمدني من الوحي

لكل من الإيجاز والإطناب مواقعه وموارده على حسب حال المخاطب وعلى مقتضى مواطن القول، فالذكي الذي تكفيه الإشارة يحسن له الإيجاز، والغبي والمكابر يجمل عند خطابه الإطناب والإسهاب.

وسبب كثرة الإيجاز في الوحي المكي الذي يمتاز بقوة الأسلوب هو أن الله تعالى يخاطب به العرب والأعراب الذين عرفوا بالبلاغة والفصاحة وإجادة القول، ويفتخرون بذلك لذلك يوجز لهم القول على منزلة التحدّى ويدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ونبذ عبادة الأوثان، وإلى الإيمان بحياة أخرى بعد حياة الدنيا في يوم يبعث فيه الناس وينشرون ويحاسبون على ما قدموا في دار الدنيا.

ومن الآيات الموجزة قوله تعالى "إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له"، إلى قوله: "ضعف الطالب والمطلوب".

وكثرة الإطناب في الوحي المدني يعود لأسباب منها: أن يهود المدينة كانوا يرون أنفسهم أهل علم وأهل كتاب، فتجاوزوا الحدّ في المكابرة والعناد فنزّلهم الله تعالى منزلة قصار العقول فأطنب في مخاطبتهم، لذلك قلما تجد خطابً لبني إسرائيل إلا وهو مسهب مطوَّل.

وللإطناب مواطن أخرى يأتى في كل من الوحي المكي والمدني لأغراض بلاغية اهـ.

الخاتمة

قد ذكر الباحث في هذه المقالة المتواضعة معنى الموزنة حيث أتى بمفهومها المعجمي والإصطلاحى، وعقّب بذكر شروطهما والغرض الأساسي منهما ثم ذكر مفهوم كل من الإيجاز والإطناب مع الأمثلة، ثم بين أيضًا مفهوم كل من الوحي المكي والمدني مع النماذج لكل منهما، وبعد ذلك عقد الموازنة بين الوحي المكي والمدني من حيث الإيجاز والإطناب.

وقد حصل الباحث في هذه الموازنة على نتائج أهمهاما يلي:

إن أغلب الأيات والسور المدينة يكثر فيها الإطناب، حيث يكثر الإيجاز في الأيات والسور المكية.

ولكل من الإطناب والإيجاز مواقعه وموارده على حسب حال المخاطب، وعلى مقتضى مواطن القول.

الإقتراحات

وبإعتبار ما سبق من الموازنة بين الوحي المكي والمدني يتبيّن أن وجود الإيجاز في الوحي المكي والإطناب في الوحي المدني لايعني، أن جميع الآيات في السور المكية موجزة والتي في السور المدنية مطنبة، بل قد يوجد في السور المكية آيات مطنبة كما يوجد في السور المدنية آيات موجزة، قد يأتي ذلك لغرض بلاغى لأن كل من الإيجاز ولإطناب له مواقعه ومواطنه على حسب مقتضى الحال والقول.

الهوامش

1 - المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية ص: 667 بلا تاريخ.

2 - إبراهيم أنيس (الدكتور)، وآخرون، المعجم الوسيط ص: 1029

3 - زكي مبارك (الدكتور)، الموازنة بين الشعراء ص:6

4 - أحمد الهاشمي، السيد، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ط/3،1427هـ. 2006م دار الفكر العلمية بيروت لبنان، ص: 137-139.

5 - العمدة لإبن رشيق القيرواني

6 - أحمد الهاشمي، السيد، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ط/3،1427هـ. 2006م دار الفكر العلمية بيروت لبنان، ص: 139.

7 - خفني ناصف بك، وآخرون، شرح دروس البلاغة، ط/ 2، 1437هـ 2016م، مكتبة الهدى المحمدي للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ص: 80

8 - الهاشمي أحمد/جواهر البلاغة، ص: 139

9 - أغاكا شعيب عبد الباقي، البلاغية القرآنية ص:522

10 - أبي بكر مَيْ هَنْكَلِي، الدكتور، إرواء الظمأن، city commercial Printing Aminu Kano Road Kano State.ص: 10-11

11 - سورة يوسف آية: 85
12 - سورة يونس آية: 71
13 - سورة الأعراف آية: 58
14 - سورة الشمس آية: 13
15 - سورة النحل آية: 61
16 - سورة الواقعة آية: 87
17 - سورة الحج آية: 78
18 - سورة الأعراف آية: 142
19 - سورة مريم آية: 60
20 - سورة الأنعام آية: 27
21 - سورة الزمر آية: 38
22 - سورة الأنبياء آية: 23
23 - سورة المؤمنين آية: 92
24 - سورة العنكبوت آية: 42
25 - سورة الرعد آية: 33
26 - سورة القصص آية: 24-25
27 - سورة النمل آية: 27-29
28 - سورة البقرة آية: 213
29 - سورة يوسف آية: 45-46
30 - سورة البقرة آية: 264
31 - سورة البقرة آية: 238
32 - سورة آل عمران آية: 188
33 - سورة التغابن آية: 14
34 - سورة الحجر آية: 66

لمراجع

القرآن الكريم
City أبي بكر مَيْ هَنْكَلِي، الدكتور، إرواء الظمأن في علوم القرآن، ط-3، 2001م
Commercial Printing Aminu Kano Road Kano State.
خفني ناصف، وآخرون (الأستاذ)، شرح دروس البلاغة، ط/2، 1437هـ 2016م، مكتبة الهدى المحمدي للنشر والتوزيع، بيروت لبنان.
أغاكا شعيب عبد الباقي، البلاغية القرآنية، ط-1، 2006م، مركز المضيف لخدمات الكمبيوتر والطباعة، للنشر الورن، ولاية كوارا نيجيريا.
أغاكا شعيب عبد الباقي، أساليب بلاغية في ديوان عبد الله بن فودي، الطبعة الأولى سنة 1429هـ/2008م.
عمر مقبول، وآخرون (الأستاذ) الأدب والنصوص والبلاغة الطبعة الثانية 1426هـ، مطبعة منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية الجماهيرية العربية الليبية الإشتراكية العظمى.
عبد الرحمن السيوطي (الشيخ) الإتقان في علوم القرآن، الطبعة الثالثة، التاريخ: 195-901م.
علي بن محمد بن علي الحسين الجرجاني (الأستاذ) التعريفات، الطبعة الأولى، 2008م